



الشاذلي بويحيى (1918 - 1997)

الطيب العشاش

يوم 20 أكتوبر 1997 فقدت تونس أحد رواد التعليم العالي إذ فقدت الجامعة التونسية علما من أعلامها. يوم 20 أكتوبر مات الشاذلي بويحيى بعد أن بلغ ثمانين سنة وقف معظمها على الدراسة والتدريس والبحث.

ولد الشاذلي بويحيى يوم 20 أكتوبر 1918 بسوق الاربعاء أي جندوبة حاليا بالشمال الغربي من الجمهورية التونسية من أب أصله من الجريد التونسي وأم جندوبية من أصل جزائري.

دخل المدرسة الابتدائية على قلة من كان يدخلها في تلك الربوع وذلك الزمان وبعد إتمام الدراسة الابتدائية انتقل الى تونس العاصمة وزاول دراسته الثانوية بالمدرسة الصادقية فتحصل تابعا على شهادة البروفيه العربية Brevet d'Arabe وشهادة الديبلوم العليا في اللغة والآداب العربية Diplôme supérieur de langue et littérature arabes ثم رحل، شأنه في ذلك شأن النجباء، إلى فرنسا والتحق بجامعة الصربون حيث تحصل على الإجازة في العربية ثم رجع إلى تونس لينخرط في سلك التعليم الثانوي من سنة 1943 - إلى سنة 1953 وشارك في الأثناء في مناظرة التبريز ونجح فيها في دورة 1949 ثم درس بداية من سنة 1953 بالتعليم العالي بما كان يسمى معهد الدراسات العليا ثم منذ استقلال تونس سنة 1956 بدار المعلمين العليا فور إنشائها ثم منذ تأسيس الجامعة التونسية بكلية الآداب والعلوم الانسانية.

بدأ التدريس بالجامعة بصفته أستاذا مبرزا وأعد في الأثناء بجامعة الصربون بباريس أطروحة دكتورا دولة قدمها للمناقشة في ماي 1969 فأصبح من وقتها أستاذا محاضرا ثم أستاذا للتعليم العالي.

وقف الشاذلي بويحي حياته على التدريس بالتعليم الثانوي ثم بالجامعة ولم يتقلد المناصب الادارية لا في ميدان التربية ولا في غيره من الميادين بل ظل للتعليم وفيا. واكب نشأة التعليم الجامعي ونموه بقسم اللغة والآداب العربية وكان إلى جانب ثلاثة زملاء أو أربعة يساهم في التدريس في مختلف سنوات الإجازة أو الأستاذية ثم كان من بين الذين بعثوا مناظرة التبريز في اللغة والآداب العربية وكان رئيس دورتها الأولى سنة 1970 كما ساهم سنة 1979 في مناقشة أول دكتورا دولة تقدم بكلية الآداب والعلوم الانسانية وتوالت مساهماته في مناظرة التبريز ومناقشة الأطروحات بصفته رئيسا أو عضوا بصورة منتظمة إلى سنة 1985 سنة

تقاعدته ثم دُعي بعد ذلك خاصة بصفته أستاذا مشرفا إلى بعض المناقشات هذا بالجامعة التونسية. ثم إن الشاذلي بويحيى ساهم بدروس مؤقتة بجامعة أجنبية عديدة بمقتضى استدعاء منها أو إيفاد من الجامعة التونسية فأفاد منه الطلبة بجامعة الجزائر والرباط وفاس ونواكشوط وبيروت ودرس مدة سنتين بجامعة الصربون وشارك بباريس في مناقشة الأطروحات بصفته رئيس لجنة أو عضوا بها في مناسبات مختلفة.

لم يقصر الشاذلي بويحيى نشاطه على التدريس والمساهمة في المناظرات ومناقشة الأطروحات بل ساهم كما يقتضى التعليم العالي - في البحث العلمي فقد اهتم في بحوثه شأنه في ذلك شأن زملائه الرواد بالحضارة التونسية وتمثلك أطروحته في أطروحتين : رئيسية درس فيها الحياة الأدبية بإفريقية في العهد الصنهاجي وأبرز خصائص مدرسة القيروان في الأدب والشعر والنقد الأدبي وتكميلية تمثلك في تحقيقه كتاب ابن رشيق «قراصة الذهب»، وهذا الاهتمام بالأدب بتونس يظهر كذلك في إشرافه على أطروحات ثلاث قدمها ثلاثة من طلبته حول «الحياة الأدبية بإفريقية في العهد الأغلبى والفاطمي ثم الحفصي» مما يدل على أن الشاذلي بويحيى كان صاحب برنامج أو مشروع متكامل يرمي إلى إبراز مكانة تونس الأدبية ومنزلة الأدب التونسي في مختلف عصوره، وكذلك مساهمة الأفارقة في الحياة الثقافية بالأندلس.

كان الشاذلي بويحيى أيام كان يعد أطروحته أو يشرف على أطروحات بعض طلبته يغذي بعض المجلات بل وحتى بعض الجرائد التونسية اليومية بمقالات عن تاريخ الأدب العربي عامة وبعض أعلامه من القدامى خاصة مثل الحسناء وبشار والمتنبي والحصريين وابن رشيق وابن خفاجة وابن شهيد ومن المعاصرين مثل الحليوي والشابي.

وتشهد مجلة حوليات الجامعة التونسية. وقد كان من أبرز مؤسسيها، على تنوع بحوثه وعمقها ودقتها رائدة فيها الموضوعية في

البحث والتعبير عن رأيه في لغة عربية فصاحتها تحبب إليك قراءة مقالاته المرة تلو المرة وفي العدد 28 لسنة 1988 من هذه المجلة، وقد خصص لتكريمه قائمة مفصلة لكتبه ومقالاته سيفيد منها طلبة العلم جيلا فجيلا.

وتظهر شخصية الشاذلي بويحيى قوية في التدريس والبحث يجادل السائد ويكشف الظنون معترفا لذوي الفضل بفضلهم ويفضح جهل الجاهلين ويرفع الغبن عن المغبونين كذا كان في كل ما كتب وكان في حياته خارج الجامعة مثال الاستقامة والكرامة وعزة النفس وكان لمن يكره الموت والبلى ويعجبه ريح الحياة وطيبها، كان يحب السفر يبحث ويحاضر ويدرس وينهل من ملذات الحياة بأشهر مدن الغرب أو أشهر مدن العالم باريس وكان يقدّر الصداقة القدر الأعظم فلم يكثر من الأصحاب ولكنه يأنس أيما أناس لمن يصطفيه من جيله أو ممن يصغره بكثير يبوح لهم بسرّه وبسرّهم له يبوحون يعتبرون عن فرحهم حيناً وأحياناً يتألمون وكم كان يخاف خوف أبي العتاهية إذ قال :

سيعرض عن كري وتنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل

ويظهر هذا الخوف أيضاً في ترديده بيت : الصمة القشيري

تمتّع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار

ولكن الموت قضاء والقضاء لا مردّ له . وكلّ من عليها فان، غير أنّ . موت أعلام الفكر - كما قال هو في تأبين حسن حسني عبد الوهاب - تورّ لأجسامهم ليس إلّا. بل ومن الناس من يدخل بوفاته حياة الخلود. يموت الفتي فتتجلى للأنام فضائله شامدة مدى الأبد، وكذا موت بويحيى.

الطيب العشاش